مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد السابع والعشرون - المجلد الثامن - علوم القرآن - نيسان 2026م
doi.org/10.52866/esj.2026.08.27.03

مُشكل المعنى والقراءات في سورة المائدة عند الإمام الرازي (ت: 606هـ) في تفسيرهِ مفاتيح الغيب (عرض وإنموذجاً)

م.م. علي حسين كواد سراج ، أ.د. أسامة عبد الوهاب حمد

مستخلص:

تناول البحث مشكل القرآن الكريم في سورة المائدة في تفسير الرازي مفاتيح الغيب، وما ذكره الرازي من إشكال في المعنى في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وطريقته في دفع الاشكال، وأهم أقوال العلماء فيه، ثم بيان القول الراجح فيه، وهو: أن الدين اكتمل بأحكامه وفرائضه وسننه ووفقهم للحج الذي لم يكن بقي عليهم من أركان الدين غيره، فحجوا؛ فاستجمع لهم الدين أداءً لأركانه وقياماً بفرائضه، ثم ذكر مشكل القراءات القرآنية في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وما لها من اثر في توجيه القراءات لبيان معنى الآية وطريقته في دفع الاشكال بذكر إسناد القراءة وقد توصلنا إلى أن القراءتين صحيحتان؛ وذلك لأنهما متواترتان عن النبي ﷺ والقراءة أذا ثبتت بالتواتر لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها.

الكلمات المفتاحية: مشكل القرآن، الرازي، تعريف المشكل، مشكل المعنى، مشكل القراءات.

The Problem of the Holy Quran in Surat Al-Ma'idah According to Imam Al-Razi (d. 606 AH) in His Interpretation Keys to the Unseen (Presentation and Analysis)

Ali Hussein Kawad Siraj ، Osama Abdel Wahab Al-Hayani

Abstract :

The research dealt with the problem of the Holy Quran in Surat Al-Ma'idah in Al-Razi's interpretation of Mafatih Al-Ghayb, and what Al-Razi mentioned about the problem in the meaning of the Almighty's saying and his method in removing the problem, and the most important statements of scholars on it, then explaining the most correct statement on it, which is: that the religion was completed with its rulings, obligations, and Sunnahs and they were guided to Hajj, which was the only pillar of religion left for them, so they performed Hajj; thus the religion was gathered for them in performing its pillars and fulfilling its obligations. Then he mentioned the problem of the Qur'anic readings in the Almighty's saying: "And what effect it has in directing the readings to clarify the meaning of the verse and his method in removing the problem by mentioning the chain of transmission of the reading. We have concluded that the two readings are correct; this is because they are transmitted by the Prophet, peace and blessings be upon him, and if the reading is proven by transmission, it is not due to Arabic analogy or the spread of language; because the reading is a followed Sunnah that must be accepted and adhered to.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الَّذي جعلَ القرآنَ هدًى للمتَّقينَ، وشفاءً ورحمَةً للمؤمنينَ، وأَعزَّ اللهُ حَمَلَتَهُ إلى يومِ الدِّينِ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مَن امتثل لأمرِ ربِّ العَالَمِينَ، فَكَانَ أعلم الخلق أجمعين، فجاء بعلم الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع:

1- تبيان ما في تفسير الإمام الرازي من نفائس الأمور، والاستنباط الدقيق لدرر القرآن الكريم بصورة عامة وسورة المائدة خاصة.

2- رغبتي في خدمة كتاب الله ﷻ رجاءً في ما عند الله ﷻ من أجر ومغفرة إن شاء الله ﷻ بإبراز التفسير الصحيح للآيات المشكلة، وبيان أهم الاستنتاجات فيه.

3- ارتباط هذا الموضوع بعلوم القرآن، والكثير من العلوم مثل اللغة والقراءات والفقه وأصوله والتوحيد وغيرها، مما يجعله جديراً بالعناية والدراسة.

4- الإفادة من أساليب المفسرين في الترجيح والتدرب عليها بما أتاحه لي هذا الموضوع من الاطلاع على التفاسير وما تناولته من علوم.

5- قلة المؤلفات التي اعتنت بمشكل القرآن، والحاجة إلى إبرازها والتعريف بها وبمؤلفيها.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث بأن الإمام الرازي - رحمه الله- قد عُني عناية واضحة بذكر مشكل القرآن؛ فجاء هذا البحث مجيبًا عن الأسئلة التالية:

1- من هو الإمام الرازي؟ وما القيمة العلمية لتفسيره «مفاتيح الغيب»؟

2- ما أنواع المشكل التي ذكرها الإمام الرازي في القرآن من خلال تفسيره؟.

خطة البحث: اقتضت مادة البَحث أن يشتمل على مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

فالمُقدمِة شملت الكلام عن أهمية البحث وسبب اختاره، ومنهج البحث والدراسات السابقة.

1-المبحث الأول: نُبذَةً مُختَصِرةً عَن حَيَاةِ الإمامِ الرازي وتفسيره.

2-المبحث الثاني: مشكل المعنى: المُشكل في قوله تعالى: في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: 3].

3-المبحث الثالث: مشكل القراءات: المشكل في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة: 112].

ثُمَّ اَعقَبتُهَا بِفهرس المَصَادرِ وفهرس للمحتويات.

المبحث الأولُ: نُبذَةً مُختَصِرةً عَن حَيَاةِ الإمامِ الرازي وتفسيره

أولاً: اسمهُ ونسبهُ

هو مُحمدُ بنُ عُمَر بنُ الحُسين بنُ الحَسن بنُ علي، البكريَ التيمي القرشي نسباً، الرازي المولد، الطبرستاني الأصل، الأصولي، المفسر، الفقيه الشافعي[1].

(1) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن ابي أصيبعه: (ص470-462)، ووفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، لابن خلكان: 252/ 248/ 4، وسير اعلام النبلاء، للذهبي: 501-500/ 21، والوافي بالوفيات، للصفدي: 182-175/ 4، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: (96-81/ 8)

وقد كان يعرف بـ (ابن الخطيب)، وابن خطيب الرَيّ[1]، كناية عن والده (ضياء الدين عمر) الذي كان خطيباً (للرَيّ)[2][3].

كنيتهُ ولقبهُ: وكان يُكنى أيضاً (أبو عبد الله)[4]، و(أبو المعالي)[5]، و(أبو الفضل)[6]، وقد لقب في حياته بألقاب عدةٍ تدلُ على المكانة العلمية التي بلغها، فهو (الإمام)[7]، و(فخر الدين)[8]، عند علماء الأصول، ومن ثم لقب في أخريات حياته عندما استقر به المقام في (هراة)[9] بـ (شيخ الإسلام)[10].

ولقد كان لقبهُ (الإمام) هو الشائع في حياته، وابن خلدون[11] لا يذكرهُ إلا بهذا اللقب[12]، ولعل شهرته به كانت تغني عن ذكر اسمه، يقول السبكي: (أما ما اشتهر به فابن الخطيب والإمام)[13]، وقد مدح أحد الشعراء فقال فيه:

ريح الشمال عساك أن تتحمّلي
خدمي إلى صدر الإمام الأفضل
وقفي بواديه المقدس وانظري
نور الهدى متألّقا لا يأتلي[14].

- **ولادتهُ:**

ولد الإمام فخر الدين الرازيّ (بالري)، يقول ابن خلكان[15]: (كانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين، وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة بالري)[16].

ثانياً: نشأتهُ وأسرتهُ: تلقى الإمام الرازيّ أول ما تلقى رعاية النشأة على والده (ضياء الدين عمر) المعروف بخطيب الري، وقد أثنى عليه

(1) ينظر: تاريخ الحكماء ص291، عيون الأنباء: 34/ 3، الكامل في التاريخ: 133/ 12.
(2) الرَيّ: بفتح الراء وتشديد الياء، مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، وقد دخلها العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بعد فتح نهاوند بشهرين وذلك في سنة (20هـ) وقيل سنة (19هـ)، ينظر: معجم البلدان: 357-356،305/ 4.
(3) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى4: / 285، وينظر: عيون الأنباء: 3 / 37، مقدمة ابن خلدون: ص455، 466، 492، 495.
(4) ينظر: عيون الأنباء: 34/ 3، وفيات الأعيان: 381/ 3.
(5) ينظر: البداية والنهاية: 55/ 13.
(6) ينظر: تاريخ الحكماء: ص291، الكامل في التاريخ: 133/ 12.
(7) ينظر: عيون الأنباء:34/ 3، طبقات الشافعية للسبكي: 23 / 5.
(8) ينظر: تاريخ الحكماء: ص291، والبداية والنهاية13: 55، وشذرات الذهب:12/ 5.
(9) هَرَاةُ: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان وهي مدينة أجلّ ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوّة بالعلماء ومملوّة بأهل الفضل والثراء. ينظر: معجم البلدان: 396/ 5.
(10) ينظر: وفيات الأعيان: 381/ 3، الوافي بالوفيات: 249/ 4، طبقات الشافعية الكبرى: 35/ 5.
(11) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد: (ت:808هـ)، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. الأعلام: 330/ 3.
(12) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ص492-466.
(13) طبقات الشافعية للسبكي:36/ 5.
(14) ينظر: ديوان ابن عنين: 8.
(15) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت:681هـ)، أحد الائمة الفضلاء والسادة العلماء والصدور الرؤساء وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من سائر المذاهب. ينظر: البداية والنهاية: 301/ 13، تاريخ الإسلام: 382/ 43.
(16) وفيات الأعيان: 384/ 3، وينظر: مرآة الجنان: 11/ 4، طبقات المفسرين للسيوطي: ص29.

ابـن أبي أصيبعـة[1] بقولـه: كان الشـيخ الإمـام ضيـاء الديـن عمـر والـد الإمـام فخـر الديـن مـن الـري، وتفقـه واشـتغل بعلـم الخـلاف والأصـول حتـى تميـز تميـزاً كثـيراً، وكان يـدرس بالـري ويخطـب في أوقـات معلومـة هنالـك، ويجتمـع عنـده خلـق كثير؛ لحسـن مـا يـورده وبلاغتـه[2].

وكان لفخـر الديـن أخ يلقـب بـ(الركـن)، ولم يكـن لـه شـأن يذكـر في العلـم، وكان هـذا الركـن قـد حصَّـلَ شـيئاً مـن الخـلاف والفقـه والأصـول، إلا أنـهُ كان كثير الاختـلال بتصرفاتـه؛ فـكان أبـداً لا يـزال يسـير خلـف أخيـه فخـر الديـن، ويتوجـه إليـه في أي بلـد قصـده، ويشـنع عليـه ويسـفه المشـتغلين بكتبـه والناظريـن في أقوالـه[3].

وأعقـب فخـر الديـن ولديـن، أكبرهمـا لقـب بلقـب جـدهُ (ضيـاء الديـن)، ولـه اشـتغال ونظـرة في العلـوم[4].

وكان قـد تجنـد لخدمـة السـلطان محمـد ابـن تكشـس المعـروف (بخوارزم شـاه)[5].

والابـن الآخـر لقبـهُ (شـمس الديـن) ولـه فطـرة فائقـة، وذكاء خـارق، وكان كثـيراً مـا يصفـهُ الإمـام فخـر الديـن بالـذكاء ويقـول: إن عـاش ابنـي هـذا فإنـه يكـون أعلـم منـي، وكانـت النجابـة تتبـين فيـه مـن الصغـر[6].

ثالثاً: وفاته:

لمـا اسـتقر المقـام بالإمـام الـرازي في آخـر حياتـه بمدينـة هَـرَاة، مـرض مرضـاً شـديداً حتـى لقـي ربـه، وذلـك في يـوم الاثنـين أول أيـام عيـد الفطـر سـنة (606هـ)[7]، وقيـل: إنـه تـوفي في عيـد النحـر[8]، (والراجـح أنـه تـوفي في عيـد الفطـر؛ لاجتـماع أغلـب مـن ترجـم لـه عـلى ذلـك).

وقـد أوصى الإمـام قبـل وفاتـه أن يدفـن سراً، فقـال في وصيتـه ((وأمـرت تلامـذتي، ومـن لي عليـه حـق إذا أنـا مـت، يبالغـون في إخفاء مـوتي، ويدفنـوني على شرط الـشرع، فـإذا دفنـوني قـرأوا عـلي مـا قـدروا عليـه مـن القـرآن، ثـم يقولـون : ياكريـم: جـاءك الفقـير المحتـاج فأحسـن إليـه))[9]، وقـد نُفـذت وصيتـه، ودفـن في آخـر النهـار في الجبـل المقابـل لقريـة مزداخـان[10][11].

رابعاً: التعريف بالتفسير:

يعـرف التفسـير الـذي ألفـه الإمـام الـرازي بإسـمين، همـا التفسـير الكبـير ومفاتيـح الغيـب، وقـد اشـتهر هـذان الاسـمان بـين العلـماء والباحثـين، ومـن

(1) أحمـد بـن القاسـم بـن خليفـة بـن يونـس الخزرجـيّ موفـق الديـن، أبـو العبـاس ابـن أبي أصيبعـة (ت:668هـ)، الطبيـب المـؤرخ وتـوفي بصرخـد مـن بـلاد حـوران، في سـوريا. ينظـر: سـير أعـلام النبـلاء: 20 / 419، لسـان الميـزان:3 / 157.

(2) ينظر: عيون الأنباء: 37/ 3.

(3) ينظر: عيون الأنباء: 28/ 3.

(4) ينظر: المصدر نفسه.

(5) ينظـر: البدايـة والنهايـة: 55/ 13، الـوافي بالوفيـات: 252/ 4.

(6) ينظر: عيون الأنباء:38/ 3.

(7) ينظـر: عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطبـاء: ص466، والعبر في خبر من غبر:142/ 3، ومرآة الجنـان وعبرة اليقظـان في معرفـة مـا يعتبر مـن حـوادث الزمـان:8/ 4، شـذرات الذهـب في اخبـار مـن ذهـب7:/ 40.

(8) ينظـر الـدر الثمـين في اسـماء المصنفـين، لتـاج الديـن السـباعي: ص241.

(9) تاريخ الاسلام137/ 13.

(10) مزداخـان: بضـم الميـم وسـكون الـزاي وفتـح الـدال المهملـة وبعـد الالـف خـاء معجمـة مفتوحـة بعـد الالـف والثانيـة نـون وهـي قريـة بالقـرب مـن هـراة، وفيـات الاعيـان وانبـاء ابنـاء الزمـان 252/ 4.

(11) ينظر: مسالك الابصار في ممالك الامصار125/ 9.

العلماء من جعل الاسم الأول وصفاً وليس اسماً فقالوا: إن الرازي ألف التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)[1].

ويعد هذا التفسير من أهم التفاسير التي تصنف ضمن التفسير بالرأي المحمود، وهو يعد موسوعة علمية في مجال علوم الدين الإسلامي بصورة عامة، وفي علم التفسير بصورة خاصة، وهو يعد تفسيراً شاملاً لاشتماله على النقل الصحيح والتفسير بالعقل السليم، وكذلك اشتماله على شتى العلوم المختلفة. وقد تأثر الإمام الرازي بالمدرسة الأشعرية؛ حيث يقول الاستاذ الدكتور محسن عبدالحميد[2] في وصف تفسير الرازي: ((استطيع أن اقول: إن تفسير الرازي يمثل ذروة المحاولة العقلية لفهم القرآن، الذي يمثل طريقة الأشعرية المتزنة في التفكير والتي تضم أمثال الإمام الأشعري والباقلاني وإمام الحرمين والغزالي، فتفسير الرازي خير وريث لنتاج هذه المدرسة..))[3].

إن الإمام الرازي لم يكتب لتفسيره مقدمة كما يفعل الكثير من المفسرين، بل ابتدأ في مقدمة مجملة لسورة الفاتحة تدل على طبيعة هذا الكتاب، فيقول الرازي في تفسير سورة الفاتحة وقد خصص لها مجلداً كبيراً: ((أما بعد: فهذا كتاب مشتمل على شرح بعض ما رزقنا الله تعالى من علوم سورة الفاتحة، ونسأل الله العظيم أن يوفقنا لا تمامه، وأن يجعلنا في الدارين أهلاً لإكرامه وإنعامه، إنه خير موفق ومعين))[4]، وقال: ((اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب، قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول))[5].

خامساً: تعريف المشكل:

المُشْكِلْ في اللغة: المُشكِل: اسم فاعل، من أشكل يشكل إشكالًا؛ فهو مشكل.

واسم الفاعل من غير الثلاثي يأتي على زنة مضارعه، بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وكسر ما قبل الآخر[6]، وحرف مُشْكِل: مُشتَبِه ملتَبِس بغيره[7].

قال ابن فارس رحمه الله: الشين والكاف واللام، معظم بابه المماثلة، تقول: هذا شكل هذا،

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي: ص220، وعيون الانباء في طبقات الاطباء ص470.

(2) الدكتور محسن عبد الحميد مفكر وعالم إسلامي وأستاذ في تفسير القرآن الكريم، ولهُ مؤلفات عديدة في الفكر الإسلامي والشريعة وتفسير القرآن الكريم، وشغل منصب أمين عام الحزب الإسلامي العراقي بعد اعلان الحزب في بغداد عام 2003، ثم أصبح رئيس مجلس شورى الحزب الإسلامي العراقي، كما كان عضواً في مجلس الحكم العراقي بعد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003م، وشغل منصب رئيس المجلس لشهر آذار من عام 2004م، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(3) الرازي مفسراً، للدكتور محسن عبدالحميد: ص193.

(4) مفاتيح الغيب، للرازي: 21/ 1.

(5) المصدر نفسه: 21/ 1.

(6) ينظر: الكافية في علم النحو (ص: 41)، شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الأستراباذي (2/ 117)، الكناش في فني النحو والصرف (1/ 327)، شذا العرف (ص:97).

(7) ينظر: تهذيب اللغة، للهروي: 25/ 10.

أي: مثله، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال: أمر مشتبه[1].

وبعد التتبع للمعاجم اللغوية وجدتُ أنَّ المعنى اللغوي لمادة أشكل تدور حول: الاختلاط، والالتباس، والاشتباه، والمماثلة، تقول: أشكل علي الأمر، أي: اختلط بغيره[2].

تعريف المشكل في الاصطلاح:

هو اسم لما يشتبه المراد منه بدخوله في إشكاله على وجه لا يُعرف المراد إلا بدليل يتميز به من بين سائر الإشكال[3] ويُحتاج إلى فهم المراد به إلى تفكر وتأمل[4].

والافْهِم منه غير المراد، أي: هو ما ازداد خفاءً على الخفي، كأنه بعدما خفي على السامع حقيقة، دخل في أشكاله وأمثاله، حتى لا ينال المراد إلا بالطلب ثم بالتأمل حتى يتميز عن أمثاله[5] اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، بل لابد من قرينة تبين ما يراد منه[6].

سادساً: أنواع المشكل:

ذكر الرازي انواعاً من المشكل في سورة المائدة في تفسيره مفاتيح الغيب نذكر منها:

1. **المشكل المتعلق بالمعنى:** المشكل من جهة المعنى يعني أن يستشكل فهم معنى الآية على لقارىء، والمفسرون يكثرون من استعمال مصطلح «المشكل» المتعلق بالمعنى منهم الإمام الرازي مثل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فقال: في الآية سؤال وهو أن قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يقتضي أن الدين كان ناقصاً قبل ذلك، وذلك يوجب أن الدين الذي كان ﷺ مواظبًا عليه أكثر عمره كان ناقصًا، وأنه إنما وجد الدين الكامل في آخر عمره مدة قليلة[7]. وذكر أكثر من اشكال في المعنى ونكتفي بذكر مثال واحد.

2. **المشكل المتعلق بالقراءات:** قد يرد اشكالاً في القراءات القرآنية بينه القراء فيما نقلوه عن النبي ﷺ وذكره الرازي فقد ترد عدة قراءات في الكلمة الواحدة، ومثال ذلك: ذكر الرازي قراءة: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾.

المبحث الثاني: مُشكل المعنى

المشكل: في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]

نص الاشكال: ذكر الرازي هذا الاشكال فقال: في الآية سؤال وهو أن قوله:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يقتضي أن الدين كان ناقصاً قبل ذلك، وذلك يوجب أن الدين الذي كان ﷺ مواظبًا عليه أكثر عمره كان ناقصًا، وأنه إنما وجد الدين الكامل في آخر عمره مدة قليلة[8].

تحرير محل الاشكال: اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ على أقوال:

القول الأول: المراد هي الفرائض، والسنن، والحدود، والأحكام، والحلال، والحرام، فلم ينزل

(1) معجم مقاييس اللغة (3/ 204).
(2) ينظر: العين (5/ 295)، الزاهر (2/ 151)، تهذيب اللغة (10/ 25)، ولسان العرب (11/ 357)، مختار الصحاح (1/ 145)، والقاموس المحيط (ص: 1317).
(3) ينظر: أصول السرخسي: 168/ 1.
(4) ينظر: احكام الفصول في احكام الأصول: 176/ 1.
(5) ينظر: التعريفات، للجرجاني: 215.
(6) ينظر: علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف: 171.
(7) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: 287/ 11.
(8) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: 287/ 11.

بعد هذِه الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض. وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهما-، والسدي[1]، **وممَّن ذهب إلى هذا القول** من المفسرين الواحدي، والبغوي، وابن عطية[2].

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وهو الإسلام. قال: أخبر الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطه أبدًا.

وعن السدي في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، هذا نزل يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام. ورجع رسول الله ﷺ فمات. فقالت أسماء بنت عُمَيس: حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير، إذ تجلّى له جبريل عليه السلام على الرَّاحلة، فلم تطق الراحلة من ثِقْل ما عليها من القرآن، فبركت، فأتيته فسجَّيت عليه برداء كان علي[3].

وقد اختاره الواحدي فقال: وقال آخرون: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ببيان الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض، وهذا معنى قول ابن عباس ، والسدي ، وهو الاختيار؛ لأن كمال الدين يكون ببيان الأحكام[4].

قال البغوي : قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض. هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، وروي عنه أن آية الربا نزلت بعدها[5].

وقال ابن عطية وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ تحتمل الإشارة ب الْيَوْمَ ما قد ذكرناه، وهذا الإكمال عند الجمهور هو الإظهار واستيعاب عظم الفرائض والتحليل والتحريم. قالوا، وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير ونزلت آية الربا ونزلت آية الكلالة إلى غير ذلك، وإنما كمل عظم الدين وأمر الحج أن حجوا وليس معهم مشرك[6].

القول الثاني: أي: لم يحج معكم مشرك، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة[7]. وهو ما رجحه الطبري.

قال سعيد بن جبير وقتادة: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك[8].

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عز وجل أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين به، أنه أكمل لهم يوم أنزل هذه الآية على نبيه دينَهم، بإفرادهم بالبلدَ الحرام وإجلائه عنه المشركين، حتى حجَّه المسلمون دونهم لا يخالطهم المشركون.

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: 518/ 9، والكشف والبيان، للثعلبي: 151/ 11.
(2) ينظر: التفسير البسيط، للواحدي: 255/ 7، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: 13/ 3، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: 154-155/ 2.
(3) ينظر: جامع البيان، للطبري: 518/ 9.
(4) ينظر: التفسير البسيط، للواحدي: 255/ 7.
(5) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: 13/ 3.
(6) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: 154-155/ 2.
(7) ينظر جامع البيان، للطبري: 520/ 9، والكشف والبيان ، للثعلبي: 152/ 11، والتفسير البسيط، للواحدي: 255/ 7.
(8) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: 13/ 3.

فأما الفرائض والأحكام، فإنه قد اختلف فيها: هل كانت أكملت ذلك اليوم، أم لا؟ [1].

وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ حين كان بمكة لم تكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام إلى أن حج؛ فلما حج وكمل الدين نزلت هذه الآية : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2].

وقال ابن كثير: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرءون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: وأي آية؟ قال قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ، نزلت عشية عرفة في يوم جمعة[3].

القول الثالث: المراد من قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي: الآن أكملت دينكم بأن كفيتكم خوف عدوكم، واظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كَمُلَ لَنَا الملكُ وكملَ لَنَا ما نريد، بأن كفينا مَنْ كنا نَخافه، وهو قول الزجاج[4].

قال الزجاج: «وقد قيل: المعنى: أكملت لكم فرض ما تحتاجون إليه في دينكم، وذلك جائز حسن، فأَما أن يكون دين الله في وقت من الأوقات غيرَ كامل فلا»[5].

وقد شرح ابن الأنباري هذين القولين شرحًا حسنًا فقال في القول الأول للزجاج: المعنى أكملت لكم نصر دينكم بأن كفيتكم ما كنتم تخافونه عليه. وقال في القول الثاني: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم من غير نقصان قبل هذا الوقت، وذلك أن الله عز وجل يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر، فيكون الأمر الأول تامًا في وقته وكذلك الثاني، كما يقول القائل: عندي عشرة كاملة، ومعلوم أن العشرين أكمل منها، والشرائع التي تعبد الله بها عباده في الأوقات المختلفة مختلفة، وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها، فكمل الله الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة، ولم يوجب ذلك أن الدين كان ناقصًا في وقت من الأوقات[6].

وقال أرباب المعاني: والكمال على وجهين: كمال مشروح وهو بيان الرسول ﷺ، وكمال مُبهَم وهو اجتهاد أهل العلم إلى قيام الساعة، فما عُدِم نصه، لم يُعدَم دليله من الكتاب والسنة.

وقال بعضهم: كمال دين هذه الأمة أن لا يزول ولا يُنسخ، وأن شريعتهم باقية إلى يوم القيامة.

وقيل: الكمال هو أن هذه الأمة آمنوا بالكُلّ ولم يفرقوا، ولم يكن هذا لغيرهم[7].

وأضاف ابن الجوزي قول خامس، فقال: أنه أمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها، كما نسخ بها ما تقدمها[8].

وقال القرطبي: قال الجمهور: المراد معظم الفرائض والتحليل والتحريم، قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير، ونزلت آية الربا، ونزلت

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري: 520/ 9.
(2) ينظر: الجامع لإحكام القرآن، للقرطبي: 62-61/ 6.
(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 28-26/ 3.
(4) ينظر: معاني القرآن واعرابه، للزجاج:2 / 148.
(5) ينظر: المصدر السابق:2 / 148.
(6) نقل كلام ابن الأنباري الواحدي. ينظر: التفسير البسيط، للواحدي: 256/ 7.
(7) ينظر: التفسير البسيط، للواحدي:255/ 7.
(8) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: 514-513/ 1.

آية الكلالة إلى غير ذلك، وإنما كمل معظم الدين وأم الحج، إذا لم يطف معهم في هذه السنة مشرك، ولا طاف بالبيت عريان، ووقف الناس كلهم بعرفة. وقيل: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بأن أهلكت لكم عدوكم وأظهرت دينكم على الدين كله كما تقول : قد تم لنا ما نريد إذا كفيت عدوك[1].

دفع الاشكال: أجاب الرازي عن هذا الاشكال فقال: واعلم أن المفسرين لأجل الاحتراز عن هذا الإشكال ذكروا وجوها:

الأول: أن المراد من قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هو إزالة الخوف عنهم وإظهار القدرة لهم على أعدائهم، وهذا كما يقول الملك عند ما يستولي على عدوه ويقهره قهرا كليا: اليوم كمل ملكنا، وهذا الجواب ضعيف لأن ملك ذلك الملك كان قبل قهر العدو ناقصًا.

الثاني: أن المراد: إني أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكاليفكم من تعلم الحلال والحرام، وهذا أيضا ضعيف لأنه لو لم يكمل لهم قبل هذا اليوم ما كانوا محتاجين إليه من الشرائع كان ذلك تأخيراً للبيان عن وقت الحاجة، وإنه لا يجوز.

الثالث: وهو الذي ذكره القفال[2] وهو المختار: أن الدين ما كان ناقصا البتة، بل كان أبدًا كاملا، يعني كانت الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت، إلا أنه تعالى كان عالما في أول وقت المبعث بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه، فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم، وأما في آخر زمان المبعث فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة، فالشرع أبدا كان كاملاً، إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص، والثاني كمال إلى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3].

نلخص مما تقدم

إن أكبر نعم الله، عز وجل، على هذه الأمة إكمال هذا الدين، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115] أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامرِ والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضلِ رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه[4].

الترجيح:

من خلال الأدلة التي ذكرها الرازي وأكثر المفسرين أن الدين اكتمل بأحكامه وفرائضه وسننه ووفقهم للحج الذي لم يكن بقي عليهم من أركان الدين غيره، فحجوا؛ فاستجمع لهم الدين أداءً

(1) ينظر: الجامع لإحكام القرآن، للقرطبي: 62-61/ 6.
(2) هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل، الشاشي القفال، الإمام الفقيه، اللغوي، أحد أعلام المذهب الشافعي، كان إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الكلام والأصول، (ت:365 هـ). ينظر: وفيات الاعيان، لابن خلكان:200/ 4، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 283/ 16، وطبقات الشافعية، للسبكي: 200/ 3.
(3) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي:287/ 11.
(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 28-26/ 3.

لأركانه وقياماً بفرائضه؛ فإنه يقول ﷺ: ((بني الإسلام على خمس))[1]. وقد كانوا تشهدوا وصلوا وزكوا وصاموا وجاهدوا واعتمروا ولم يكونوا حجوا؛ فلما حجوا ذلك اليوم مع النبي ﷺ أنزل الله تعالى وهم بالموقف عشية عرفة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فإنما أراد أكمل وضعه لهم؛ وفي ذلك دلالة على أن الطاعات كلها دين وإيمان وإسلام[2].

المبحث الثالث: مُشكل القراءات

المشكل: في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 112]

نص الاشكال: ذكر الرازي قراءة: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ فقال: قرأ الكسائي (هل تستطيع) بالتاء ربك بالنصب، وبإدغام اللام في التاء، وسبب الإدغام أن اللام قريب المخرج من التاء، لأنهما من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا وبحسب قرب الحرف من الحرف يحسن الإدغام[3]، وهذه القراءة مروية عن علي وابن عباس- رضي الله عنهما-. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانوا أعلم بالله من أن يقولوا هل يستطيع وإنما قالوا هل تستطيع أن تسأل ربك[4].

وعن معاذ بن جبل ﷺ: أقرأني رسول الله ﷺ هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب

والباقون (يستطيع) بالياء ربُّك برفع الباء وبالإظهار[5]، فأما القراءة الأولى فمعناها: هل تسطيع سؤال ربك؟ قالوا وهذه القراءة أولى من الثانية لأن هذه القراءة توجب شكهم في استطاعة عيسى، والثانية توجب شكهم في استطاعة الله، ولا شك أن الأولى أولى، وأما القراءة الثانية ففيها إشكال: وهو أنه تعالى حكى عنهم أنهم ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111] وبعد الإيمان كيف يجوز أن يقال إنهم بقوا شاكين في اقتدار الله تعالى على ذلك[6].

تحرير محل الاشكال: اختلف المفسرون في معنى قراءة: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾.

قلت: للعلماء في توجيه قراءة ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قولان.

القول الأول: قرأ الكسائي (هل تستطيع) بالتاء ربك بالنصب، وبإدغام اللام في التاء، وسبب الإدغام أن اللام قريب المخرج من التاء، وهذه القراءة مروية عن علي وابن عباس. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانوا أعلم بالله من أن يقولوا هل يستطيع وإنما قالوا هل تستطيع أن تسأل ربك[7].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، برقم: (8) 11/ 1، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان اركان الإسلام ودعائمه العظام، برقم: (16) 45/ 1.

(2) ينظر: الجامع لإحكام القرآن، للقرطبي: 63-62/ 6.

(3) السبعة في القراءات، لأبن مجاهد:249/ 1، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: 273/ 3، والمبسوط في القراءات العشر، للنسيابوري: 189/ 1.

(4) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي: 549/ 11، والتفسير البسيط، للواحدي:592/ 7.

(5) ينظر: السبعة في القراءات، لأبن مجاهد: 249/ 1، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: 273/ 3، والمبسوط في القراءات العشر، للنسيابوري: 189/ 1.

(6) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: 462/ 12.

(7) ينظر: السبعة في القراءات، لأبن مجاهد: 249/ 1، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: 273/ 3، والمبسوط في القراءات العشر، للنسيابوري: 189/ 1.

القول الثاني: وقرأ الباقون (يستطيع) بالياء ربُّك برفع الباء [1].

وممن ذكر هذا الاشكال ابن خالويه فقال: في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ يقرأ بالياء والرفع، وبالتاء والنصب.

فالحجة لمن قرأ بالرفع: أنه جعل الفعل لله تعالى فرفعه به، وهم في هذا السؤال عالمون أنه يستطيع ذلك، فلفظه لفظ الاستفهام، ومعناه معنى الطلب والسؤال.

والحجّة لمن قرأ بالنصب: أنه أراد: هل تستطيع سؤال ربك؟ ثم حذف السؤال، وأقام (ربك) مقامه كما قال: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: 82]، يريد: أهل القرية. ومعناه: سل ربك أن يفعل بنا ذلك فإنه عليه قادر [2].

قال أبو علي الفارسي: فقرأ الكسائي وحده: هل تستطيع ربَّك بالتاء، ونصب الباء واللام مدغّمة في التاء، وقرأ الباقون: هل يستطيع ربُّك بالياء ورفع الباء [3].

ووجه قراءة الكسائي: تستطيع بالتاء أن المراد: هل تستطيع سؤال ربك، وذكروا الاستطاعة في سؤالهم له لا لأنّهم شكّوا في استطاعته، ولكن كأنّهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم، كأنّهم قالوا: إنّك مستطيع فما يمنعك؟! ومثل ذلك قولك لصاحبك: أتستطيع أن تذهب عني فإنّي مشغول؟ أي: اذهب لأنّك غير عاجز عن ذلك.

وأما أن في قوله: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ﴾ فهو من صلة المصدر المحذوف، ولا يستقيم الكلام إلّا على تقدير ذلك،

وأمّا قراءة من قرأ: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ فليس على أنّهم شكّوا في قدرة القديم سبحانه على ذلك، لأنّهم كانوا مؤمنين عارفين، ولكن كأنّهم قالوا: نحن نعلم قدرته على ذلك، فليفعله بمسألتك إياه، ليكون علما لك ودلالة على صدقك، وكأنّهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحّة أمره من حيث لا يعترض عليهم منه إشكال ولا تنازعهم فيه شبهة، لأنّ علم الضرورة لا تعرض فيه الشبه التي تعرض في علوم الاستدلال، فأرادوا علم أمره من هذا الوجه فمن ثم قالوا: ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾[المائدة/ 113] كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة: 260] بأن أعلم ذلك، من حيث لا يكون لشبهة ولا إشكال عليّ طريق [4].

واختار الطبري، وابن الجوزي، وأبوعبيدة [5] القراءة بالرفع، أي: قراءة الجمهور.

ورجح الطبري القراءة فقال: وأولى القراءتين عندي بالصواب، قراءة من قرأ ذلك: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ﴾ بالياء (رَبُّكَ) برفع «الربّ»، بمعنى: هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب، لما بيّنّا قبلُ من أن قوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾، من صلة:﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ﴾ [المائدة: 111]، وأنَّ معنى الكلام: وإذ أوحيت إلى الحواريون أن آمنوا بي وبرسولي، إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم

(1) ينظر: السبعة في القراءات، لأبن مجاهد: 249/ 1، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: 273/ 3، والمبسوط في القراءات العشر، للنسيابوري: 189/ 1.
(2) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه: 135/ 1.
(3) ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد:249/ 1، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري: 256/ 2.
(4) ينظر: الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسّي: 3/ 273-274.
(5) ينظر: التفسير البسيط،للواحدي:593-590/ 7.

هل يستطيع ربَّك؟ فبيِّنٌ إذ كان ذلك كذلك، أن الله تعالى قد كرِه منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قِيلهم ذلك، والإقرارِ لله بالقدرة على كل شيء، وتصديقِ رسوله فيما أخبرهم عن ربِّهم من الأخبار[1].

ورجح ابن الجوزي قراءة الجمهور في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾: قال الزجاج: أي: هل يقدر. وقرأ الكسائي: «هل تستطيع» بالتاء، ونصْب الرب.

قال الفراء: معناه: هل تقدر أن تسأل ربك. قال ابن الأنباري: ولا يجوز لأحدٍ أن يتوهم أن الحواريين شكُّوا في قدرة الله، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه: هل تستطيع أن تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع، ولكنّه يريد: هل يسهل عليك، والأول أصح[2].

وقال الزجاج: وقد قُرئ: (هل تَسْتَطِيعُ رَبَّك) و (هل يَستَطيعُ رَبُّك). فمن قرأ (هل تَسْتَطِيعُ رَبَّك). فالمعنى هل تستدعي إِجَابَتَه وطاعَتَه في أن يُنْزِلَ علينا، ومن قراها (هل يَستَطيعُ رَبُّك) كان معناه هل يقدر ربُّك.

وقال: وليس المعنى عندي - واللهُ أعلم - أنهم جهلوا أن اللهَّ يقدر على أن ينزل مائدة، ولكن وجه السؤال هل ترينا أنت أن ربَّك يُرينَا ما سَألنَا من أجلِكَ من آياتك التي تدل على نبوتك[3].

وذكر الثعلبي: في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال: قرأ علي، وعائشة، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد (هل تستطيع) بالتاء {رَبُّكَ} بنصب الباء، وهو اختيار الكسائي، وأبي عبيد على معنى: هل تستطيع أن تدعو أو تسأل ربك، كقوله: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [يوسف: 82]. وقالوا: لأن الحواريين لم يكونوا شاكين في قدرة الله.

وقرأ الباقون: (يَسْتَطِيعُ) بالياء (رَبُّكَ) برفع الباء، وقالوا: إنهم لم يشكوا في قدرة الله، وإنما معناه: هل ينزل أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه: هل تستطيع أن تنهض معي؟ وهو يعلم أنه مستطيع، وإنما يريد: هل تفعل ذلك أم لا ؟[4].

وقال ابن الأنباري: لا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا في قدرة الله عز وجل، ولا يدل قولهم ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ على أنهم شكوا في استطاعة الله، إذ كان العربي يقول لصحابه: هل تستطيع أن تقوم معي؟ وهو يعلم أنه مستطيع للقيام، إنما يقصد بتستطيع معنى: هل يسهل عليك ويخف عليك، فكذلك هو في الآية هل يقبلُ ربُّك دعاءَك، وهل يسهل لك إنزال هذه المائدة علينا، وهذا الذي ذكرنا معنى قول الفراء[5]. وممَّن ذهب إلى هذا القول: الواحدي[6]، والسمرقندي [7]، والبغوي[8]، وابن عطيه[9].

دفع الاشكال: أجاب الرازي عن هذا الاشكال فقال: والجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أنه تعالى ما وصفهم بالإيمان والإسلام بل حكى عنهم ادعاءهم لهما ثم أتبع ذلك بقوله حكاية عنهم هل يستطيع ربك أن ينزل

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري: 222-218/ 11.
(2) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي:601/ 1.
(3) ينظر: معني القرآن واعرابه، للزجاج:220/ 2.
(4) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي: 550-549/ 11.
(5) ينظر: التفسير البسيط،للواحدي:593-590/ 7.
(6) ينظر: المصدر نفسه.
(7) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي:428/ 1.
(8) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: 101/ 1.
(9) ينظر: المحرر الوجيز ، لابن عطيه:259/ 2.

علينا مائدة من السماء فدل ذلك على أنهم كانوا شاكين متوقفين فإن هذا القول لا يصدر عمن كان كاملاً في الإيمان وقالوا: ونعلم أن قد صدقتنا وهذا يدل على مرض في القلب وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يدل على أنهم ما كانوا كاملين في الإيمان.

والوجه الثاني: في الجواب أنهم كانوا مؤمنين إلا أنهم طلبوا هذه الآية ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260] فإن مشاهدة مثل هذه الآية لا شك أنها تورث الطمأنينة ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا.

والوجه الثالث: في الجواب أن المراد من هذا الكلام استفهام أن ذلك هل هو جائز في الحكمة أم لا، وذلك لأن أفعال الله تعالى لما كانت موقوفة على رعاية وجوه الحكمة ففي الموضع الذي لا يحصل فيه شيء من وجوه الحكمة يكون الفعل ممتنعا فإن المنافي من جهة الحكمة كالمنافي من جهة القدرة، وهذا الجواب يتمشى على قول المعتزلة، وأما على قولنا فهو محمول على أن الله تعالى هل قضى بذلك وهل علم وقوعه فإنه إن لم يقض به ولم يعلم وقوعه كان ذلك محالاً غير مقدور لأن خلاف المعلوم غير مقدور.

والوجه الرابع: قال السدي: هل يستطيع ربك، أي: هل يطيعك ربك إن سألته، وهذا تفريع على أن استطاع بمعنى أطاع والسين زائدة.

والوجه الخامس: لعل المراد بالرب: هو جبريل عليه السلام، لأنه كان يربيه ويخصه بأنواع الإعانة، ولذلك قال تعالى في أول الآية ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: 110] يعني: أنك تدعي أنه يربيك ويخصك بأنواع الكرامة، فهل يقدر على إنزال مائدة من السماء عليك.

والوجه السادس: أنه ليس المقصود من هذا السؤال كونهم شاكين فيه بل المقصود تقرير أن ذلك في غاية الظهور كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على إشباع هذا ويكون غرضه منه أن ذلك أمر جلي واضح، لا يجوز لعاقل أن يشك فيه، فكذا هاهنا[1].

ونلخص مما تقدم: أن الحواريين لم يشكّوا في قدرة سبحانه وتعالى على ذلك، لأنّهم كانوا مؤمنين عارفين، ولكن كأنّهم قالوا: نحن نعلم قدرته على ذلك، فليفعله بمسألتك إياه، ليكون علمًا لك ودلالةً على صدقك، وكأنّهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحّة أمره من حيث لا يعترض عليهم منه إشكال ولا تنازعهم فيه شبهة، لأنّ علم الضرورة لا تعرض فيه الشبه التي تعرض في علوم الاستدلال، فأرادوا علم أمره من هذا الوجه.

الترجيح: بعد دراسة الإشكال تبين لنا أن القراءتين صحيحتان، وذلك لأنهما متواترتان عن النبي ﷺ والقراءة أذا ثبتت بالتواتر لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها[2].

وتؤيده القاعدة التفسيرية: (إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها وهي بمنزلة آية مستقلة)[3].

وفي توجيه القراءة بالتاء ونصب الرب: أن الحواريين لم يكونوا شاكين في قدرة الله وإنما سألوا عيسى عليه السلام هل تستطيع أن تدعو أو تسأل ربك.

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: 462/ 12.
(2) ينظر: النشر في القراءات العشر، للجزري: 10/ 1
(3) ينظر: قواعد الترجيح للحربي: 89/ 1.

ويحتمل أن يكونوا أرادوا أن يزدادوا تبيينا كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260][1].

الخاتمة

بعد هذا التطواف والتجوال في تفسير الإمام الرازي (مفاتيح الغيب)، نلخص إلى ما يأتي.

1. يعد الإمام الرازي علماً من علماء التفسير، وتفسيره غزير بما أشكل من الآيات، وبالقراءات القرآنية.

2. كان من منهج الرازي المتبع في إيراد الاشكال دائماً يرد بصيغة مشكل، أو أشكل، أو بصيغة سؤال.

3. يعد تفسير الرازي من مصادر القراءات المتواترة والشاذة، وقد أكثر من إيراد القراءات القرآنية.

4. اعتمد الرازي في نقله للإشكال على مصادر متقدمة مثل كتاب الوسيط للواحدي وغيرها.

5. لم يرجح الإمام الرازي بين القراءات ولم يفاضل بينها إلاَّ في مواضع يسيره.

التوصيات:

1. دراسة الاشكالات عند الإمام الرازي دراسة كاملة لتفسيره التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) في أطروحة دكتوراه، يتناول فيها الباحث جميع الاشكالات ودراستها وتحليلها.

(1) ينظر: التفسير البسيط، لواحدي: 593-590/ 7.

المصادر والمراجع:

1. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - 2002 م.

2. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفي: 373هـ).

3. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1407 هـ - 1986 .

4. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003 م.

5. التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1430 هـ.

6. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

7. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو

جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

8. الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي

9. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.

10. الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة، 1401 هـ.

11. الحجة للقراء السبعة: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، (المتوفى: 377هـ)، المحقق: بدرالدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، 1413 هـ - 1993م.

12. الدر الثمين في أسماء المصنفين: علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (المتوفى: 674هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م.

13. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.

14. السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ.
سنة النشر 1407 - 1987.

15. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ/ 1985م.

16. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، سنة الولادة 206/ سنة الوفاة 261، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 5

17. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ.

18. طبقات المفسرين: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى، 1396.

19. العبر في خبر من غبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت.

20. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: المؤلف: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي

موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (المتوفى: 668هـ)، المحقق: الدكتور نزار رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت.

21. قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي بن حسين الحربي، راجعه وقدم له: مناع بن خليل القطان، دار القاسم، الطبعة الأولى- 1417هـ- 1996م.

22. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م.

23. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م

24. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ – 2002 م.

25. المبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق، 1981 م.

26. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، =المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1422 هـ.

27. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: 768هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ – 1997 م.

28. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ – 1997 م.

29. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م.

30. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثانية، 1995 م.معجم البلدان

31. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – 1420 هـ.

32. النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : 833 هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير

دار الكتاب العلمية].

33. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م.

34. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، 1994.